

أضواء البيان

@ 66 إسرائيل { وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَالِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا } . .

فإن قيل : قد اخترتم أن المراد بالميزان في سورة الشورى وسورة الحديد ، هو العدل والإنصاف ، وأن المراد بالميزان في سورة الرحمن هو آلة الوزن المعروفة ، وذكرتم نظائر ذلك من الآيات القرآنية ، وعلى هذا الذي اخترتم يشكل الفرق بين الكتاب والميزان ، لأن الكتب السماوية كلها عدل وإنصاف . .
فالجواب من وجهين : .

الأول منهما هو ما قدمنا مراراً من أن الشيء الواحد إذا عبر عنه بصفتين مختلفتين جاز عطفه على نفسه تنزيلاً للتغاير بين الصفات منزلة التغاير في الذوات ، ومن أمثلة ذلك في القرآن قوله تعالى { سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الذِّكْرُ خَلَقَ فَسَوَّى * وَالذِّكْرُ قَدَرٌ مِّنْ فَهْدَى * وَالذِّكْرُ أَخْرَجَ الْمَرْعَى } فالموصوف واحد والصفات مختلفة ، وقد ساغ العطف لتغاير الصفات . ونظير ذلك من كلام العرب قول الشاعر : سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الذِّكْرُ خَلَقَ فَسَوَّى * وَالذِّكْرُ قَدَرٌ مِّنْ فَهْدَى * وَالذِّكْرُ أَخْرَجَ الْمَرْعَى } فالموصوف واحد والصفات مختلفة ، وقد ساغ العطف لتغاير الصفات . ونظير ذلك من كلام العرب قول الشاعر : % (إلى الملك القرم وابن الهما % وليث الكتيبة في المزدحم) % .
وأما الوجه الثاني : .

فهو ما أشار إليه العلامة ابن القيم رحمه الله في إعلام الموقعين ، من المغايرة في الجملة بين الكتاب والميزان . .

وإيضاح ذلك : أن المراد بالكتاب هو العدل والإنصاف المصحح به في الكتب السماوية . .
وأما الميزان : فيصدق بالعدل والإنصاف الذي لم يصرح به في الكتب السماوية ، ولكنه معلوم مما صرح به فيها . .

فالتأفيف في قوله تعالى { فَلَا تَقُولُ لَهُمْ أَمْهًا أَوْفٍ } ، من الكتاب لأنه مصحح به في الكتاب ، ومنع ضرب الوالدين مثلاً المدلول عليه بالنهي على التأفيف من الميزان ، أي من العدل والإنصاف الذي أنزله الله مع رسوله . .

وقبول شهادة العدلين في الرجعة والطلاق المنصوص في قوله تعالى : { وَأَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ } من الكتاب الذي أنزله الله ، لأنه مصحح به فيه .

